محمد عطية الإبراشي

ملتزمة الطبع والنشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

بُنَيَّ العَزِيز :

لَقَدْ عَرَفْتَ الكَثِيرَ عَنْ سَيِّدِنا عُمَرَ بْنِ عَبْدِ العَزِيز ، وَسَأَذْكُرُ لَكَ الآنَ حِكاياتٍ جَمِيلَةً عَنْ أَخْلاقِهِ العَظِيمَةِ ، لِتَقْرَأَها وَتُقَلِّدَها حَتَّى تَنْجَحَ فِى حَياتِكَ .

ابتِعادُ عُمَرَ عَنِ المَظاهِرِ :

حِينَما تَوَلَّى عُمَرُ الخِلافَةَ قُدِّمَتْ إِلَيْهِ مَراكِبُ الخِلافَةِ لِيَرْكَبَها ، فَقالَ : ماهٰذِهِ ؟

فَقالوا : مَراكِبُ لَمْ تُرْكَبْ مُطْلَقًا ، يَرْكَبُها الخَلِيفَةُ عِنْدَما يَلِي . فَتَرَكَها ، وَقالَ لِمَوْلًى (خادِمٍ) لَهُ يامُزاحِمُ ، أَرْسِلْ هٰذِهِ إِلَى بَيْتِ

مالِ المُسلِمينَ .

وَنُصِبَتْ لَهُ سُرادِقاتٌ لَمْ يَجْلِسْ فِيها أَحَدٌ مِنْ قَبْلُ ، كانَتْ تُوضَعُ لِلْخُلَفاءِ حِينَما يُوَلَّوْنَ الخِلافَةَ . فَقالَ : ماهٰذِهِ ؟ فَقالوا : هٰذِهِ سُرادِقاتٌ لَمْ يَجْلِسْ فِيهَا أَحَدٌ مِنْ قَبْلُ ، يَجْلِسُ فِيها الخَلِيفَةُ فى أَوَّلِ يَوْمٍ يُوَلَّى فِيهِ .

فَقالَ : يامُزاحِمُ، ضُمَّ هٰذِهِ إِلَى أَمْوالِ المُسْلِمِينَ .

وَسارَ بَيْنَ الصُّفوفِ كَرَجُلٍ مِنَ المُسْلِمِينَ ، وَسَرَّحَ الفُرْسانَ ، وَأَعْفَى كَثِيرًا مِنَ الشُّرْطَةِ وَالحَرَسِ ، وَكانُوا أَكْثَرَ مِنْ ٦٠٠ ، ثُمَّ رَكِبَ بَغْلَتَهُ ، وَذَهَبَ إِلَى بَيْتِ الخِلافَةِ ، فَوَجَدَ أَوْلادَ سُلَيْمانَ بْنِ عَبْدِ المَلِكِ الخَلِيفَةِ الَّذِى كانَ قَبْلَهُ قَدْ جَمَعُوا ما اسْتُعْمِلَ مِنَ المَلابِسِ وَأَنْواعِ الرَّوائِحِ الجَمِيلَةِ فى ناحِيَةٍ ، وَمَا لَمْ

يُسْتَعْمَلْ فى ناحِيَةٍ أُخْرَى ، فَسَأَلَ عُمَرُ : مَا هٰذَا ؟ وَمَا هٰذَا ؟

فَأَجابُوا : هٰذَا مالَبِسَ الخَليفَةُ مِنَ الثِّيابِ وَما مَسَّ مِنَ الرَّوائِحِ الجَميلَةِ فَهُوَ لِوَلَدِهِ . وَما لَمْ يلْبَسْ وَلَمْ يَمَسَّ فَهُوَ لِلْخَليفَةِ بَعْدَهُ فَهُوَ لَكَ .

قالَ عُمَرُ : لَيْسَ هٰذَا لِى ، وَلا لِسُلَيْمانَ ، وَلا لَكُمْ ، وَقالَ : يامُزاحِمُ : أَرْسِلْ هٰذَا كُلَّهُ إِلَى بَيْتِ مالِ المُسْلِمِينَ .

ثُمَّ أُحْضِرَت الجَوارِى ، فَعُرِضْنَ عَلَيْهِ كَالصُّوَرِ الَّتِى زُيِّنَتْ بِأَدَواتِ التَّجْميلِ . فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِنَّ أَخَذَ يَسْأَلُهُنَّ واحِدَةً واحِدَةً : مَنْ أَنْتِ ؟ وَلِمَنْ كُنْتِ وَمَنْ أَرْسَلَكِ إِلَى هُنا ؟

فَأَخْبَرَتْهُ كُلُّ جارِيَةٍ بِأَصْلِها ، وَلِمَنْ كانَتْ ، وَكَيْفَ أُخِذَتْ ، فَأَمَرَ بِرَدِّ كُلِّ واحِدَةٍ مِنْهُنَّ

إِلَى أَهْلِها ، وَبَلَدِها .

فَتَأَكَّدَ الحاضِرُونَ مِنَ الأُمَراءِ وَالوُزَراءِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَشْرافِ العَرَبِ وَالجُنودِ وَالقُوَّادِ أَنَّ عُمَرَ ابنَ عَبْدِ العَزيزِ سَيَسيرُ بِالعَدْلِ ، وَيَحْمِلُ النَّاسَ عَلَى شَريعَةٍ مِنَ الحَقِّ ، فَرَدَّ لِلْمَظْلُومِ حَقَّهُ مِمَّنْ ظَلَمَهُ ، وَأَحْيا كِتابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ رَسُولِهِ ، وَتَفَرَّغَ لِإِحْياءِ ما أَمَرَ بِهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَزَهِدَ فِى الدُّنْيا وَمَظاهِرِهَا .

وَاقْتَدَى بِجَدِّهِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُما . وَكانَ يُؤَدِّى الصَّلاةَ فِى أَوَّلِ أَوْقاتِها ، وَيُقَلِّدُ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِى صَلاتِهِ .

قالَتْ عَنْهُ السَّيِّدَةُ فاطِمَةُ بِنْتُ سَيِّدِنا الحُسَيْنِ : لَوْ بَقِىَ لَنا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزيزِ مَا احْتَجْنا بَعْدَهُ إِلَى شَىْءٍ

قَناعَتُهُ وَزُهْدُهُ:

وَرِثَ عُمَرُ عَنْ آبائِهِ وَأَجْدادِهِ كَثيرًا مِنَ الأَراضِى فى الحِجازِ وَالشّامِ وَمِصْرَ وَاليَمَنِ وَالبَحْرَيْنِ ، فَكانَ دَخْلُهُ ضَخْمًا ، قُدِّرَ بِأَرْبَعينَ أَلْفَ دِينارٍ كُلَّ سَنَةٍ ، فَرَدَّ ذٰلِكَ كُلَّهُ إِلى بَيْتِ المالِ ، وَخَصَّصَ لِنَفَقَةِ يَوْمِهِ دِرهَمَيْنِ .

وَذاتَ يَوْمٍ قِيلَ لَهُ : لِماذا لَمْ تَأْخُذْ ما كانَ يَأْخُذُ عُمَرُ بْنُ الخَطّابِ ، وَقَدْ أَباحَ الشَّرْعُ لَكَ ذٰلِكَ ؟

فَأَجابَ : إِنَّ ابْنَ الخَطّابِ لَمْ يَكُنْ لَهُ مالٌ ، وَأَنا مالِى يُغْنِينِى ، وَاكْتَفَى بِدِرْهَمَيْنِ مِنْ مالِهِ الخَاصِّ فى اليَوْمِ . وَحَرَمَ نَفْسَهُ التَّمَتُّعَ بِمالِهِ ، وَجَعَلَهُ حِلًّا لِلْمُسْلِمينَ .

وَقَدْ اتَتْهُ الدُّنْيا وَمَا فِيها ، فَتَرَكَها ، وَتَرَكَ أَلْوانَ الطَّعامِ ، وَخَدَمَ نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ .

وَذاتَ يَوْمٍ أَرْسَلَ إِلَيْهِ أَمِيرُ الأُرْدُنِّ سَلَّتَيْنِ (سَبَتَيْنِ) مِنَ الرُّطَبِ (البَلَحِ) فَقالَ : ماهٰذا ؟

فَقِيلَ لَهُ : هَاتانِ سَلَّتانِ مِنَ الرُّطَبِ ، أَرْسَلَهُما مَعِى أَمِيرُ الأُرْدُنِّ .

فَقالَ : عَلَى أَىِّ شَىْءٍ أُرْسِلَت السَّلَّتانِ ؟

فَقالوا : عَلَى بِغَالِ البَرِيدِ (الرَّسائِلِ) .

قالَ عُمَرُ : أَخْرِجُوهُما ، فَبِيعُوهُما ، وَاجْعَلُوا ثَمَنَهُما فى طَعامِ بِغَالِ البَرِيدِ .

فَغَمَزَ ابْنُ أَخِيهِ الرَّجُلَ الَّذِى أَحْضَرَ السَّلَّتَيْنِ ، وَقالَ لَهُ : اِذْهَبْ إِلَى السُّوقِ ، وَاعْرِضْهُما لِلْبَيْعِ لِتَحْدِيدِ ثَمَنِهِما .

ذَهَبَ الرَّجُلُ إِلَى السُّوقِ ،فَبَلَغَ ثَمَنُهُما ١٤ دِرْهَمًا .

فَاشْتَراهُما ابْنُ أَخيهِ ، وَدَفعَ ثَمَنَهُما ، ثُمَّ أَرْسَلَ سَلَّةً مِنهُما إلى بَيْتِ أَميرِ المُؤْمِنينَ عُمَرَ ، وَأَخَذَ مِنْهُما سَلَّةً لِنَفْسِهِ .

قالَ عُمَرُ : الآنَ جازَ لِي الأَكْلُ مِنْهُ .

تَواضُعُهُ :

فِي يَوْمٍ كانَ جالِسًا مَعَ بَعْضِ حُكَّامِهِ يَبْحَثونَ أَحْوالَ الرَّعِيَّةِ ، فَنَقَصَ نُورُ المِصْباحِ ، فَقامَ وَأَصْلَحَهُ ، ثُمَّ رَجَعَ إلى مَكانِهِ .

فَقالَ لَهُ حُكَّامُهُ : لِماذا تَفْعَلُ ذٰلِكَ يا أَميرَ المُؤْمِنينَ ، وَكُلٌّ مِنّا يُمْكِنُهُ أَنْ يَقومَ بِإِصْلاحِهِ ؟

فَقالَ لَهُمْ : قُمْتُ وَأَنا عُمَرُ . وَرَجَعْتُ وَأَنا عُمَرُ . وَلَيْسَ مِنْ مُروءَةِ الرَّجُلِ أَنْ يَسْتَخْدِمَ ضَيْفَهُ . فَكانَ قُدْوَةً حَسَنَةً لِعُمّالِهِ ، لِيَفْعَلوا

كَما يَفْعَلُ ، وَيَقْتَدُوا بِهِ .

وَذاتَ يَوْمٍ ناداهُ رَجُلٌ بِقَوْلِهِ : ياخَلِيفَةَ اللَّهِ فى الأَرْضِ . فَقالَ عُمَرُ : إِنّى لَمّا وُلِدْتُ اخْتارَ لِى أَهْلِى إِسْمًا فَسَمَّوْنِى عُمَرَ ، فَلَوْ نادَيْتَنِى ياعُمَرُ أَجَبْتُكَ . فَلَمّا كَبِرْتُ اخْتَرْتُ لِنَفْسِى أَباحَفْصٍ ، فَلَوْ نادَيْتَنِى ياأَباحَفْصٍ أَجَبْتُكَ . فَلَمّا وَلَّيْتُمُونِى أُمورَكُمْ سَمَّيْتُمُونِى أَميرَ المُؤْمِنِينَ . فَلَوْ نادَيْتَنِى ياأَميرَ المُؤْمِنِينَ أَجَبْتُكَ .

وَأَمّا خَليفَةُ اللَّهِ فى الأَرْضِ فَلَسْتُ كَذٰلِكَ ، وَلٰكِنَّ خُلَفاءَ اللَّهِ فى الأَرْضِ داودُ النَّبِىُّ عَلَيْهِ السَّلامُ وَأَمْثالُهُ .

قالَ اللَّهُ تَعالَى : " ياداوُدُ إِنّا جَعَلْناكَ خَلِيفَةً فى الأَرْضِ . " سورة ص .

وَفى يَوْمٍ مِنْ أَيّامِ الصَّيْفِ اشْتَدَّتِ الحَرارَةُ ،

فَقالَ عُمَرُ لِجارِيَتِهِ : رَوِّحِينِي بِالمِرْوَحَةِ حَتَّى أَنامَ . فَرَوَّحَتْهُ فَنامَ . وَحِينَما كانَتْ تُرَوِّحُهُ غَلَبَها النَّوْمُ فَنامَتْ . فَلَمَّا انْتَبَهَ سَيِّدُنا عُمَرُ وَجَدَها نائِمَةً . فَأَخَذَ المِرْوَحَةَ وَجَعَلَ يُرَوِّحُها. فَلَمَّا قامَتْ مِنْ نَوْمِها وَرَأَتْ أَميرَ المُؤْمِنِينَ يُرَوِّحُها خَجِلَتْ وَخافَتْ ، وَصَرَخَتْ .

فَقالَ لَها عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزيزِ : لاتَخافِي ، إِنَّما أَنْتِ بَشَرٌ (مَخْلوقَةٌ) مِثْلِي ، تُحِسِّينَ بِالحَرارَةِ كَما أُحِسُّ . فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُرَوِّحَكِ كَما رَوَّحْتِنِي .

فَعُمَرُ رَحِمَهُ اللَّهُ جَعَلَ نَفْسَهُ مِثْلَ جارِيَتِهِ ، وَخَدَمَها كَما خَدَمَتْهُ .

وَكانَ يَصُبُّ الماءَ لِنَفْسِهِ عِنْدَما يَتَوَضَّأُ لِلصَّلاةِ.

عَطْفُهُ عَلَى الفُقَرَاءِ وَاليَتَامَى :

فِى يَوْمٍ مِنَ الأَيَّامِ خَرَجَ ابْنٌ لَهُ ، وَأَخَذَ يَلْعَبُ مَعَ الأَطْفَالِ فِى الشَّارِعِ . فَجَرَحَ غُلامٌ وَجْهَ ابْنِ عُمَرَ ، وَأَسَالَ مِنْهُ الدَّمَ . فَأَخَذَ الخَدَمُ الغُلامَ الَّذِى جَرَحَهُ ، وَأَدْخَلُوهُ بَيْتَ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عُمَرَ ؛ لِيَنْظُرُوا مَا تَأْمُرُ بِهِ زَوْجَةُ الخَلِيفَةِ .

فَسَمِعَ عُمَرُ ضَوْضَاءَ فِى البَيْتِ . فَانْتَقَلَ مِنْ حُجْرَتِهِ لِيَرَى مَاذَا جَرَى ؟ فَرَأَى غُلامًا صَغِيرًا يَبْكِى ، وَلَهُ أُمٌّ مِسْكِينَةٌ تَتَوَسَّلُ وَ(تَرْجُو) زَوْجَةَ عُمَرَ أَنْ تَغْفِرَ لِابْنِهَا ذَنْبَهُ وَخَطَأَهُ .

فَسَأَلَ عُمَرُ عَنْ سَبَبِ هٰذِهِ الضَّوْضَاءِ . فَأَخْبَرُوهُ بِمَا حَدَثَ ، وَعَرَّفُوهُ أَنَّ الغُلامَ الَّذِى جَرَحَ وَجْهَ

ابْنِهِ يَتِيمٌ ، وَأَنَّ أُمَّهُ لازَوْجَ لَهَا ، وَمِسْكِينَةٌ لاذَنْبَ عَلَيْهَا فِيمَا فَعَلَهُ ابْنُهَا .

فَتَأَلَّمَ عُمَرُ لِلْيَتِيمِ وَأُمِّهِ ، وَعَطَفَ عَلَيْهِمَا .

وَقَالَ لِلْخَدَمِ : اِسْأَلُوا الْمَرْأَةَ : هَلْ لِلْغُلَامِ إِعَانَةٌ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ ؟

فَقَالَتْ : لَا .

فَقَالَ عُمَرُ : أُكْتُبُوهُ فِي سِجِلِّ (دَفْتَرِ) الْيَتَامَى الْمُسْتَحِقِّينَ لِلْمُسَاعَدَةِ .

فَلَمَّا سَمِعَتْ فَاطِمَةُ زَوْجَتُهُ قَوْلَهُ تَضَايَقَتْ ، وَقَالَتْ لِعُمَرَ : إِنِّي أَخَافُ كَثِيرًا عَلَى أَبْنَائِي مِنَ الْيَتَامَى وَالْفُقَرَاءِ بَعْدَ الَّذِي فَعَلْتَهُ .

فَالْتَفَتَ إِلَيْهَا عُمَرُ وَقَالَ : إِنَّهُ تَأَلَّمَ لِهٰذَا الْغُلَامِ الْيَتِيمِ وَأُمِّهِ كَثِيرًا . وَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ : " وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى . " سورة البقرة .

وَيَقُولُ :

" وَالكاظِمِينَ الغَيْظَ ، وَالعافِينَ عَنِ النَّاسِ ،
وَاللَّهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ . " سورة آل عمران .

فَسَكَتَتْ فاطِمَةُ ، وَضَبَطَتْ غَيْظَها .

فَعُمَرُ كانَ رَءُوفًا بِالضُّعَفاءِ وَاليَتامَى وَالفُقَراءِ ،
حَليمًا يُقابِلُ السَّيِّئَةَ بِالحَسَنَةِ .